مشبحة
مهندس الطيران

الحصول على وظيفة طبيب بشري يحتاج شهادة في هذا المجال محددا فيها نوعية التخصص. ويحتاج المحامي والقاضي والمهندس الى شهادات علمية مماثلة، ويتوجب على الراغبين في الحصول على هذه المؤهلات انفاق عدد معين من سنوات عمرهم للحصول عليها. اصبحت الحياة معقدة بحيث اصبحنا لا نسلم مصير اي انسان مريض او حتى حيوان، مهما تدنت مرتبته، ليقوم شخص غير متخصص بتقديم العلاج له قبل التاكد من ان هذا «الطبيب» يحمل مؤهلا علميا من جامعة معترف بها.

ما يجعل الامر اكثر تعقيدا ان خريج كلية طب، مثلا، لا يعني بالضرورة انه مؤهل لعلاج الناس، فقد لا يسمح له تخصصه في الاشعة او التخدير بوصف العلاج لمريض بالسكر او الضغط. ومعلوم ايضا ان الطبيب الجراح يختلف عمله كليا عن الطبيب العام. ويرجع السبب في كل هذا التعقيد الذي، لم يكن موجودا في السابق، الى ان هذه المهن والوظائف يتطلب واجب القيام بها توفر درجة معينة من الكفاءة العلمية والخبرة لدى شاغليها، وانعدام هذه الخبرة المدعومة بمؤهل علمي، او العكس، غالبا ما يؤدي بالامور الى خسارة صحية ومالية للطرف الآخر. ولا يمكن بالطبع التاكد من توفر الكفاءة والخبرة الا بموجب مستندات معينة ذات مواصفات محددة ومتفق عليها بدقة شديدة.

بعد كل هذه المقدمة يقوم شخص ذو تخصص معين، ولنفترض انه مهندس، وحاصل على درجة الماجستير في هندسة الطيران مثلا، بفتح شركة متخصصة بعد عودته من الدراسة في الولايات المتحدة، وتمر الأيام بهذا الانسان وتنتهي به الامور رئيسا لمجلس ادارة جمعية تعاونية، وينشغل الى درجة الانغماس في الاعمال التجارية المشروعة، وفجاة تظهر عليه بوادر سمات معينة ويتغير مظهره الخارجي، سواء ما تعلق منه بملابسه او بشكله الخارجي، وينخرط هذا الانسان في نشاط ديني معين!!! وينتهي الامر به الى ترؤس جمعية دينية، وفجاة ايضا، ودون اية تحضيرات او ترتيبات او تفرغ او تاهيل يطلق على نفسه لقب «شيخ»!!! ولا يتوقف الأمر طبعا عند هذا الحد بل يبدأ هذا الشخص، وهنا مكمن الخطورة، باعطاء المواعظ والعظات ويحرم الحلال ويحلل الحرام ويقوم بطبع ونشر مجموعة آرائه، ومعتقداته في كتب وملصقات وكتيبات، ويرتقي المنابر ويقوم بالدعوة لافكاره وتسميم العقول بها، او افادتها، وتحريض الناس على هذا وذاك ومدح فلان والهجوم على علان، وابداء الرأي في كل شاردة وواردة، وتوزيع الفتاوى لمن احب وبطريقة لا تخضع لأية قيود او حدود.

السؤال هنا: لماذا نشترط على من يتقدم لعلاج بقرة مريضة او لوصف دواء لقطة مشاكسة مثلا ان يكون حاصلا على شهادة معترف بها ومصدق عليها من مختلف الجهات وتحمل عشرات الاختام والطوابع والتوقيعات؟ ولماذا يتوقف هذا الشرط عندما يتعلق الامر بتغذية عقول البشر وافكارهم ومعتقداتهم؟ ولماذا نسمح لشخص ما باعتلاء المنابر والدعوة لمختلف انواع العقائد والافكار لمجرد انه يحمل لقب «شيخ» منحه لنفسه او اطلقه اتباعه عليه؟ ولماذا نرضى بأن يتم كل ذلك دون الحصول على شهادة او علم او دراسة او دراية او تخصص في هذا المجال مدعوم بشهادة علمية معترف بها تفيد بذلك؟؟

ان ما يجري على الساحة السياسية الدينية خطير، وان مسالة السماح لمن يشاء بان يمنح نفسه ما يشاء من هذه الالقاب الدينية دون قيد او شرط او تدقيق امر في منتهى الخطورة. فكما ان الطبيب يختص بعلاج البطون فان شيخ الدين يختص بعلاج النفوس والافكار والاعتقادات، ونتيجة اي العملين كارثة محققة اذا لم يكن احدهما او كلاهما مؤهلا بموجب مستند رسمي معترف به يسمح له القيام بتلك المهمة، ومن واجب السلطات الحكومية الانتباه الى هذه المسالة الخطيرة، كما يتطلب الامر وضع معايير معينة ودقيقة لمن يحق له استعمال هذا اللقب. اما التعلل بان هذا الامر جزء من العرف الذي تعود عليه المجتمع في السابق وتقبله فمسالة لا يجوز الاعتداد بها، فقد كانت المحاكم الكويتية، مثلا، تسمح قبل سنوات لمن لا يحمل شهادة في الحقوق بالترافع امامها في الدفاع عن المتهمين، وقد توقفت المحاكم عن هذا التقليد بعد زيادة وتوفر العدد الكافي من المؤهلين لأداء هذا العمل. وحري بالسلطات الممثلة بوزارة العدل مساءلة كل من يحمل لقب شيخ عن حقيقة مصدر هذا اللقب، والطلب منه التوقف عن استعماله لكي لا يضل الآخرين.

احمد الصراف